## المحور الثاني:مناهج البحث: دراسة في الإقترابات

### محاضرة رقم 1 بعنوان: إقتراب تحليل النظم ( الإقتراب النسقي)

عرف حقل العلوم السياسية تطورا ملحوظا عجزت في مقابل ذلك المناج التقليدية للعلوم السياسية من إستيعاب والإحاطة بمختلف الظواهر السياسية الجديدة المصاحبة له، برزت معه حاجة ملحة لتطوير مناهج البحث في هذا الحقل عن طريق إستحداث إقترابات ومناهج جديدة أكثر قدرة على فهم الظواهر السياسية والإحاطة بها.

يعتبر الإقتراب النظمي أحد أهم الإقترابات في نطاق الدراسات السياسية ، ويندرج مع غيره من الإقترابات تحث مظلة التوجهات السلوكية التي عملت على مسايرة مناهج العلوم الطبيعية التي حققت إنجازات كبيرة في ميادينها المختلفة.

### أولا: تطور الإقتراب النسقي

التي بدأت في التبلور مع منتصف الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، ويرجع الفضل في إرساء قواعد هذا الإقتراب وتطويرها إلى علماء الإجتماع من أمثال "تاركوت بارسونز" Parsons و"هومانز"Hommans ، و"برتلانفي" Pertlanfy، وغيرهم من العلماء الذين نقلوه بدورهم من التطورات التي عرفتها العلوم الطبيعية، علم الأحياء والفيزياء، وبذلك جاء إدخال مفهوم تحليل النظم إلى نطاق الظواهر السياسية متأخرا وبطريقة غير مباشرة من خلال علماء الإجتماع الذين قاموا بتطوير مفهوم النظام الإجتماعي.

ووفقا للإقتراب النسقي فالكيانات الإجتماعية يمكن أن نصفها بالنظام نظرا لأنها تمثل مجموعة من العناصر أو المتغيرات المتداخلة وذات الإعتماد المتبادل فيما بينها والتي يمكن تحديدها وقياسها، كما أن لهذه الكيانات أيضا حدود مميزة تفصلها عن بيئتها فضلا عن أن كل منها يسعى للحفاظ على ذاته من خلال مجموعة من العمليات المختلفة، خاصة عندما يتعرض للإضطراب سواءا داخل أو خرج حدوده مع بيئته الأوسع.

### ثانيا: الإقتراب الإستوني في الدراسات السياسية

يعود الفضل إلى عالم السياسة الأمريكي "دافيد إستون" David Easton في تطوير وإدخال إقتراب التحليل النسقي إلى حقل العلوم السياسية، و جاء تطوير هذا الإقتراب في علم السياسة تدريجيا

وعلى مراحل و قد عمل ايستون على تطوير هذا الاقتراب عبر مراحل كانت بدايتها عام 1953 حينما نشر كتاب " النظام السياسي" Political System وتبع ذلك بمقالة علمية منشورة في مجلة World Poltics عام 1956 أسهمت في توضيح أفكاره وجاء كتابه تحليل النظم السياسية A System Analysis of Political Life الصادر عام 1965 أكثر توظيحا للنظام السياسي وطريقة عمله ومكوناته والمفاهيم التي إستخدمها.

نظر دافييد إستون إلى الحياة السياسية على أنها نظام – نسق– سلوك موجود في بيئة يتفاعل معها أخذا وعطاءا من خلال فتحتي المدخلات والمخرجات وأن النسق بمثابة كائن حي يعيش في بيئة فيزيائية مادية وبيولوجية وإجتماعية وسيكولوجية وهو نسق مفتوح على البيئة التي تنتج أحداثا وتأثيرات يتطلب من أعضاء النسق الإستجابة لها.

***ثالثا: الإطار التحليلي للنظام السياسي وفق المنظور النسقي:***

يرى إستون الإطار التحليلي للنظام السياسي في أبسط صوره عل أساس أنه دائرة متكاملة ذات طابع ديناميكي من التفاعلات السياسية المتوجهة بصفة أساسية نحةو التخصيص السلطوي للقيم في المجتمع، وتبدأ هذه الدائرة الديناميكية بالمدخلات وتنتهي بالمخرجات، وتقوم عملية التغذية الإستلرجاعية بالربط بين نقطتي البداية والنهاية أي بين المدخلات والمخرجات وفق الشكل الآتي:

مخرجات ـــــ النظام السياسي ـــــــ مدخلات
قرارات وأفعال ـــــــ مطالب وتأييد
تغذية إسترجاعية

***رابعا: المفاهيم الأساسية للإقتراب النسقي:***

إستخدم إستون في إقتراب التحليل النظمي العديد من المفاهيم إعتمد في بنء إطاره التحليلي على مجموعة من الفروض التي تعتمد على مجموعة من المفاهيم من واقع الحياة السياسية والتي وطنها في حقل الدراسات السياسية وأهم هذه المفاهيم: النظام، البيئة، الحدود، المخرجات، التحويل، التغذية الإسترجاعية.

***1/ مفهوم النظام:***

يمثل النظام عند إستون وحدة التحليل الأساسية في إقتراب التحليل النظمي، ووفق ذلك **فالنظام** عرف حسبه على أنه: "مجموعة من العناصر المترابطة المتفاعلة والمترابطة وظيفيا مع بعضها البعض بشكل منتظم بما يعنيه ذلك من أن التغير في أحد العناصر المكونة للنظام يؤثر في بقية العناصر" .

وبذلك فالنظام السياسي هو: نسق من التفاعلات يسوده نوع من الإعتماد المتبادل بين مكوناته وله حدود تفصله عن النظم الأخرى، وله محيط أو بيئة يتحرك فيها، كما أن النظام السياسي هو جزء من النظام الإجتماعي الكلي، كذلك إهتم إستون بالكيفية التي يتمكن النظام السياسي من البقاء والإستملرار في ظروف تتسم بالضغط والتغير.

وإنطلاقا مما سبق يعرف النظام السياسي على أنه: مجموعة من التفاعلات السياسية التي تحدث داخل المجتمع والتي يتم بمقتضاها صنع السياسات العامة، ويتكون النظام السياسي من أربعة عناصر أساسية هي : المدخلات، التحويل، المخرجات، التغذية الإ سترجاعية.

***2/ البيئة:***

يشير مفهوم البيئة عند إستون إلى: "كل ماهو خارج حدود النظام السياسي ولا يدخل في مكوناته"، ويقسمها إلى:

- **البيئة الداخلية:** وتتضمن الأنساق المرتبطة بالمجتمع الذي ينتمي إليه النظام السياسي إلا أنها منفصلة عن النظام السياسي ول كن الأخير في حالة تفاعل دائم معها وتشمل الأنساق الداخية المكونة من مجموعة السلوكات والإتجاهات والأفكار حيث تمثل محركات المجتمع ومجموعة أدواره كما أنها تشكل مصدرا للضغوط والتأثيرات المتعددة والتي تعمل على قولبة الشروط التي يتوجب على النظام السياسي أن ينشط ويتحرك في ظلها.
- **البيئة الخارجية** وتتضمن كل الأنساق الواقعة خارج المجتمع المعني وتتمثل في الأنساق الدولية– الثقافية، السياسية، الإقتصادية– وتشكل النسق الدولي الكلي.

وتشكل البيئة الداخلية مع البيئة الخارجية البيئة الكلية للنظام السياسي وتقع خارج النظام السياسي حيث أن النسق هو نسق السياسي هو نسق مفتوح، فمخرجات البيئة بأنساقها المختلفة تؤثر في النسق

السياسي من خلال فتحة المدخلات، كما أن النسق يؤثر في البيئة بما يخرجه من قرارات وتصرفات وأفعال وسياسات عبر فتحة المخرجات.

3/ ***الحدود:***

على إعتبار أن النسق السياسي لا يوجد في فراغ، ولكنه يعيش في بيئة يتفاعل معها كان لا بد من الفصل التصوري التحليلي بين النظام السياسي وبيئته، والذي يجعل للنظام بداية ونهاية أي حدودا توضح بداية النظام ونهاية الأنظمة الأخرى وهذه الحدود التصورية بين النظام السياسي وبيئته تختلف من مجتمع إلى آخر وتتأثر بالقيم والأوضاع الإجتماعية والثقافية السائدة وهذا ما ذهب إليه قابريال ألموند في تطويره لإقتراب تحليل النظم.

4/ ***المدخلات:***

تشمل مدخلات النظام السياسي وفقا للإقتراب النسقي على: "كل ما يتلقاه النظام من بيئته الداخلية والخارجية"، وهي: جملة التغييرات التي تحدث في البيئة المحيطة بالنظام والتي تؤثر فيه فالمدخلات هي تلك الأحداث الخارجة عن النظام ولكنها تعمل على تبديله وتغييره أو التأثير فيه بأية صورة كانت.

وتشتمل مدخلات النظام السياسي على عنصرين رئيسيين هما: **المطالب، التأييد** وأضاف وليام ميتشل عنصرا ثالثا سماه الموارد وذلك في إطار تطويره لنموذج إستون.

- **المطالب:** تشير إلى الرغبات الإجتماعية خاصة تلك المتعلقة منها بكيفية توزيع القيم وتحقيق أهداف المجتمع، وهي قد تكون عامة أو محددة، وقد يكون التعبير عنها بصورة مباشرة أو غير مباشرة
- **التأييد:** يشير إلى الإتجاهات والمواقف سواء المؤيد منها أو المعارض للنظام وهو وسيلة تجند خلالها وتوجه موارد المجتمع وطاقاته نحو السعي إلى تحقيق أهداف معينة.

5/ ***التحويل:***

تعرف عملية التحويل حسب إستون على أنها: "مجموعة النشاطات والتفاعلات التي يقوم بها النظام ويحول عن طريقها مدخلاته المتمثلة في المطالب والمساندة والموارد إلى مخرجات (قرارات، سياسات، إعلام، أفعال) والتي تصدر عن أبنية النظام السياسي".

فعملية التحويل حسب الإقتراب النسقي تتم داخل أبنية النظام السياسي وتتولاها الأجهزة المختلفة لكل نظام، حيث تقوم بعملية التصفية والترتيب والتقديم والتأخير للمطالب حسب الأهمية والحساسية.

غير أن دافييد إستون من خلال عملية التحويل أهمل ما يجري داخل النظام السياسي وركز على المدخلات والمخرجات فحسب، وأحل ما يجري داخل النسق مكانة ثانوية.

6/ ***المخرجات:***

عرف إستون المخرجات عل أنها: "مجموعة الأفعال والقرارات الملزمة والسياسات والدعاية التي يخرجها النظام السياسي فهي بذلك ردود أفعال النظام أو إستجاباته للمطالب الفعلية أو المتوقعة التي ترد إلى النظام من البيئة، وتتضمن القرارات الملزمة وهي مقترنة بالوعود والحوافز والتفضيلات والسياسات وغير الملزمة وكذلك الأفعال أو الإنجازات الإقتصادية والإجتماعية والقوانين والمراسيم والتظيمات وقرارات العدالة والأحكام القضائية".

7/ ***التغذية الإسترجاعية:***

عرفها إستون على أنها: "يقصد بها مجموعة ردود أفعال البيئة على مخرجات النظام السياسي وذلك في شكل طلبات وتأييد وموارد جديدة توجهها البيئة إلى النظام السياسي عبر فتحة المدخلات".

وتمثل التغذية الإسترجاعية – رجعية الفعل– ما يتلقاه أعضاء السلطة من معلومات عن نشاطاتهم فالمخرجات تؤثر في المدخلات بتقليلها أو زيادتها، كما تمثل المخرجات معيارا لكل مصير النظام، فبدون كمية معلومات لا يستطيع أي نظام أن يستمر كم تمثل أداة أساسية تساعد السلطات على تعديل أهدافها وتشكيلها بطريقة تصونها من الضغط الملازم لقلة الموارد وتفيد المسؤولين في تصحيح سلوكهم وتقويم ذاته وإصلاح إختلالاته خاصة عند إفتقاره للمعلومات وردود الأفعال تساعد في معرفة حالة النظام ونتائج أفعاله وحالة البيئة أيضا ، وقد تكون رجعية الفعل إيجابية تستجيب لطموحات البيئة وتطلعاتها أو سلبية لا تستجيب ولا تلبي موارد البيئة بقدر التوقعات.

***خامسا: الإفترضات الأساسية التي يرتكز عليها الإقتراب النسقي:***

ركز إستون في إطاره التحليلي على مجموعة من الإفتراضات يمكن إيجازها فيما يلي:

1/ النظام السياسي نظام مفتوح يؤثر ويتأثر بالأنظمة الأخرى كما يمتلك القدرة على التكيف مع الضغوط المختلفة.

2/ يعمل النظام على تحقيق التوازن والإستقرار وذلك من خلال الخصائص التي يمتلكها وتعينه على مواجهة متطلبات البيئة وبذلك فهو يمتلك قدرة ضبطية خلاقة وبناءة.

3/ النظام يقوم بمجموعة من الوظائف لابد له منها لإستمراره

4/ يمتلك النظام برامج وآليات لمواجهة البيئة وبفضل هذه الآليات تستطيع النظم السياسية تنظيم سلوكها الخاص وتعديل أبنيتها الداخلية وتغيير حتى أهدافها الرئيسية بطريقة آلية وديناميكية.

5/ النظام السياسي يشبه الكائن الحي الذي يتطلب وضعا بيئيا للحياة فيه فمن ناحية البيئة تفرض مجموعة ضغوط على النظام السياسي في حين أن النظام السياسي يحاول التكيف مع هذه الضغوط وفق ما يتطلبه الوضع وما توفره به الإمكانيات.

***سادسا: مجالات إستخدام الإقتراب النسقي:***

يستخدم هذا الإقتراب في دراسة النظم السياسية، والمؤسسات السياسية المختلفة والبرلمانات والأحزاب السياسية والجماعات المختلفة كما يستخدم في صناعة القرارات وفي دراسة السياسة الخارجية والمنظمات الدولية والنظم الإقليمية.

***سابعا: النقد الموجه للإقتراب النسقي:***

رغم الجوانب الإيجابية التي أضافها إقتراب تحليل النظم إلى حقل الدراسات السياسية والإسهامات المختلفة في تطوير الدراسات السياسية إلا أن ما يؤخذ عليه الآتي:

1/ المحافظة والتحيز للوضع القائم وإعطاء قيمة كبير جدا للإستقرار فالإستقرار يمثل قيمة عليا تتحكم في سلوك النظام وهي غايته المنشودة لذلك فإن جل الدراسات التي إستخدمت إقتراب النظم خلصت إلى نتائج محافظة أو مؤيدة للوضع.

2/ لا يولي التغيير الثوري بما يعنيه من تحول جذري شامل للنظام السياسي أي إهتمام فجل إهتمامه ينصب على مقومات النظام وطرق دعمه وليس عوامل تغييره وتطويره فهو يكشف عن عناصر الإستمرار والإستقرار في النظام دون تفسير كيف ولماذا يتطور النظام من وضع لآخر .

3/ التناول البسيط والسريع للعملية التحويلية على أنها تحدث داخل النظام دون أن يذكر بوضوح الأبنية التي تقوم بالعملية وكيفية القيام بها

5/ النظر للحياة السياسية نظرة تبسيطية ميكانيكية تتجاهل وتتجاوز التعقيدات والخصائص المميزة لها وهذا جعل الإقتراب يميل للتجريد والعمومية

6/ يتجاهل التاريخ علما أن الظاهرة السياسية ليست مفصولة عن الماضي.